201284 - رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم : لمن كان وراء ظهره

السؤال

أنا مسلم أؤمن بأن الله هو وحده من يعلم الغيب، وهو وحده من بيده شفاء المرضى. وهذه هي المفاهيم التي أدعوا الناس إليها، أي أني أدعوهم الى التوحيد المستند على الدليل من الكتاب والسنة بما آتني الله من علم.
غير أن أحد الأشخاص قام فأرسل لي حديثا ينفي به اختصاص الله بعلم الغيب :
الحديث من رواية الإمام البخاري في الكتاب الأول، صفحة 59. قال صلى الله عليه وسلم "فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري" .
هل يدل هذا الحديث على أن الرسول صلى الله عليه وسلم : كان يعلم الغيب ؟

الإجابة المفصلة

أولا : من عقائد المسلمين الإيمان بأن الله وحده علام الغيوب ، لا يعلم الغيب إلا هو .
قال سبحانه : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) النمل/65 .
قال ابن كثير رحمه الله :
" يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول معلمًا لجميع الخلق : أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله عز وجل ، فإنه المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له " انتهى من "تفسير ابن كثير" (6 /207)
لكن الله تعالى يُطلع من شاء من رسله على ما يشاء من غيبه ، قال تعالى :
(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)
الجن/26-27

قال علماء اللجنة :
" الأصل في الأمور الغيبية: اختصاص الله بعلمها، لكن الله تعالى يطلع من ارتضى من رسله على شيء من الغيب، قال الله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) الجن/26،27 " انتهى من "فتاوى اللجنة

الدائمة" (1 /122-123)

فهذا الذي يطّلع عليه الرسول من أمر الغيب إنما هو من وحي الله تعالى ؛ ولذلك قال الله عز وجل : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) الأنعام/ 50

قال علماء اللجنة الدائمة :

" علم المغيبات من اختصاص الله تعالى فلا يعلمها أحد من خلقه لا جني ولا غيره إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من ملائكته أو رسله " انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (1 /346)

فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ؛ كما هو ظاهر قوله تعالى : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ولكن الله عالم الغيب يطلعه منه على ما يشاء ، كما قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) .

قال القرطبي رحمة الله عليه :

" قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: لَمَّا تَمَدَّحَ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ ، وَاسْتَأْثَرَ بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، كَانَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ أَحَدٌ سِوَاهُ، ثُمَّ اسْتَثْنَى مَنِ ارْتَضَاهُ مِنَ الرُّسُلِ، فَأَوْدَعَهُمْ مَا شَاءَ مِنْ غَيْبِهِ ، بِطَرِيقِ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَهُ مُعْجِزَةً لَهُمْ ، وَدِلَالَةً صَادِقَةً عَلَى نُبُوَّتِهِمْ " انتهى من "تفسير القرطبي" (19/ 28)

وانظر جواب السؤال رقم : (101968) .

ثانيا :

روى البخاري (418) ومسلم (424) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلاَ رُكُوعُكُمْ ، إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) .

قال النووي رحمه الله :

" قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ لَهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدْرَاكًا فِي قَفَاهُ يُبْصِر بِهِ مِنْ وَرَائِهِ , وَقَدْ اِنْخَرَقَتْ الْعَادَة لَهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَكْثَر مِنْ هَذَا , وَلَيْسَ يَمْنَع مِنْ هَذَا عَقْل وَلَا شَرْع , بَلْ وَرَدَ الشَّرْع بِظَاهِرِهِ فَوَجَبَ الْقَوْل بِهِ "

انتهى .

وهذه من المعجزات والآيات التي أيّد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، وخصه بها ،

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

" ليس المراد منه : أنه كان يلتفت ببصره في صلاته إلى من خلفه ، حتى يرى صلاتهم ، كما ظنه بعضهم ، وقد رد الإمام أحمد على من زعم ذلك ، وأثبت ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وآياته ومعجزاته " انتهى من "فتح الباري" – لابن رجب (4 /341)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" الصَّوَابُ الْمُخْتَارُ : أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَأَنَّ هَذَا الْإِبْصَارَ إِدْرَاكٌ حَقِيقِيٌّ خَاصٌّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، انْخَرَقَتْ لَهُ فِيهِ الْعَادَةُ ، وَعَلَى هَذَا عَمَلُ الْمُصَنِّفِ ، فَأَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ، وَكَذَا نُقِلَ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ " انتهى.

والحاصل :

أن هذا الأمر : هو من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاته ؛ لكن هذا لا ينفي ما قدمناه من اختصاص الله بعلم الغيب ؛ فإنا قد قررنا أن الله قد يطلع من شاء من رسله ، على ما شاء من أمور الغيب ؛ وحينئذ : يعلم الرسولُ من أنباء الغيب ، ما أعلمه به ربه ، سبحانه .

على أن المذكور في هذا الحديث : ليس من علم الغيب في شيء ، ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إني أعلم ما غاب عن بصري ، أو أعلم كذا وكذا ؛ بل هذا الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر موجود ، مشهود ؛ كل ما في الأمر : أن العادة قد جرت ألا يرى الإنسان إلا ما يقابله ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم ، في هذا المقام : رأى ما وراء ظهره ، فانخرقت العادة ، وصحت له الرؤية ، مع تخلف بعض شروطها .

والله تعالى أعلم .